الوفاء بالعهود والمواثيق

الشيخ/ خالد محمد إبراهيم *

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى وآله وصحبه ومن والاه وبعد حض الإسلام على أن يبني الناس حياتهم على أساس الصدق في أقوالهم وأفعالهم وأن يحترموا عهودهم ومواثيقهم فيلتزموا بتنفيذ ما أعطوا من عهود وما قطعوا على أنفسهم من مواثيق فيلتزموا بتنفيذها فمن الإيمان أن يكون المسلم عند كلمته التي قالها ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه فيعرف بين الناس على أن كلمته ميثاق غليظ لا خوف من نقضها ولا خشية من النكوث في تنفيذها.

ولأهمية الوفاء بالعهود والمواثيق في استقرار وأمن المجتمع وضح القرآن هذا الأمر جليا "وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا" والعهد ما من شأنه أن يراعي ويحفظ كاليمين والوعد والوصية وعهد الله أوامره ونواهيه وتكاليفه الشرعية التي كلف الناس بها والوفاء بعهد الله يتأتى بتنفيذ أوامره وتكاليفه واجتناب ما نهي عنه قال القرطبي رحمه الله "وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ" لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو مواثيق من أمر موافق للديانة، والمعنى أن الله يأمركم أيها المسلون بالوفاء بالعهود التي التزمتم بها مع الله أو مع الناس، أي كونوا أوفياء بعهودكم ولا تبطلوها بعد توثيقها وتغليظها عن طريق تكرارها بمرة أو مرتين أو أكثر أو عن طريق تكراراها بمرة أو مرتين أو عن طريق الاتيان فيها ببعض أسماء الله وصفاته ونقض الإيمان والعهود وإن كان قبيحا في كل حالة فهو في حالة توكيد الإيمان وتغليظها أشد قبحا ثم بعد ذلك من الآية: "وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ" تأكيد لوجوب الوفاء بالعهود والمواثيق والنهي عن نقضها والكفيل هو من يكفل غيره أي يضمن في أداء ما عليه ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها والحال أنكم جعلتم الله تعالى ضامنا لكم فيما التزمتم به من عهود وشاهدا ورقيبا على أعمالكم وأموالكم وفي هذا تحذير المتعاهدين من النقض بعد أن جعلوا الله تعالى كفيلا عليهم لأن الله تعالى يعلم ما تفعلون من الوفاء أو النقض وسيجازيكم بما تستحقون من خير أو شر.

ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لتقبيح نقض العهود والمواثيق فقال جل شأنه: "وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ" قال ابن كثير هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه فإنكم إن نقضتموها بعد إبرامها فإنكم مثل المرأة الحمقاء التي كانت تفتل غزلها فتلا محكما ثم تنقضه بعد ذلك وتتركه مرة أخرى قطعا منكوثة محلولة وفي هذا تحقير لمن ينقض العهد والميثاق وتشبيه بحال المرأة هذه ملتاثة في عقلها مضطربة في تصرفاتها فالآية الكريمة تدعو إلى وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق في جميع الأحوال.

والوفاء بالعهد والميثاق واجب مع المؤمن بالإسلام ومع الكافر به فإن الفضيلة لا تتجزأ فيكون المرء خسيسا مع قوم كريما مع آخرين والمدار على موضوع العهد ما دام خيرا فإقراره حتما مع كل فرد وفي كل حين وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حلف الفضول لو دعيت به في الإسلام لأجبت وعن عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "ايما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافرا، أو من الوفاء أن يذكر الرجل ماضيه الذاهب لينتفع به في حاضره ومستقبله فإن كان معسرا فأغناه الله أو مريضا فشفاه الله فليس يسوغ له أن يفصل بين ماضيه ويومه بسورة غليظ ثم يزعم أنه ما كان يوما مريضا أو فقيرا أو بيني على غروره بحاضره مسلكا كله فظاظة وجحود هذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق وربما انطرد من رحمة الله فلم تتسع بعدئذ له رؤى أن رجلا من أهل المدينة يدعى ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الأنصار فأشهرهم لئن آتاني الله من فضله اتثبت من كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بشيء مما عاهد الله عليه فنزل قول الله عز وجل:" وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا من فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ" فالتمسك بالعهود والمواثيق والالتزام بتنفيذها من خلق المسلم الذي يحرص على التمسك بآداب وأحكام دينه ومن ثم فلا تعهد إلا بمعروف فإذا وثق المسلم عهداً بمعروف فليصرف همته في إمضائه وإنقاذه ما دامت فيه عين تطرف وليعلم أن منطقة الرجولة وهدى اليقين لا يتركان له مجالا للتردد والانثناء والرجوع، هذا ما يجب أن نكون عليه جميعا في الوفاء بالعهود والمواثيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* عضو بعثة الازهر الشريف في اليمن

ماذا بعد رمضان:

العلامة الحوباني: تجسيد قيم الشهر الكريم ينبغي أن يستمر طوال العام

مع انقضاء الشهر العظيم يتبادر إلى الذهن ماذا بعد رمضان، فنحن جميعًا في حاجة إلى أن يستمر حالنا هذا طوال العام على نفس النهج الذي كنا عليه في رمضان ولئن كان شهر رمضان المبارك قد انتهى، فإن عمل المسلم لا ينتهي إلا بمفارقة روحه فماذا بعد رمضان وما استفدنا من مدرسة الصيام ؟و ما الدروس التي يمكننا أن نخرج بها من تلك الأيام الفاضلة ؟ حول هذا وأكثر كان لنا اللقاء التالي مع الدكتور خالد الحوباني -أستاذ علم التفسير وخطيب مسجد الأنوار.

* لقاء/أمين العبيدي

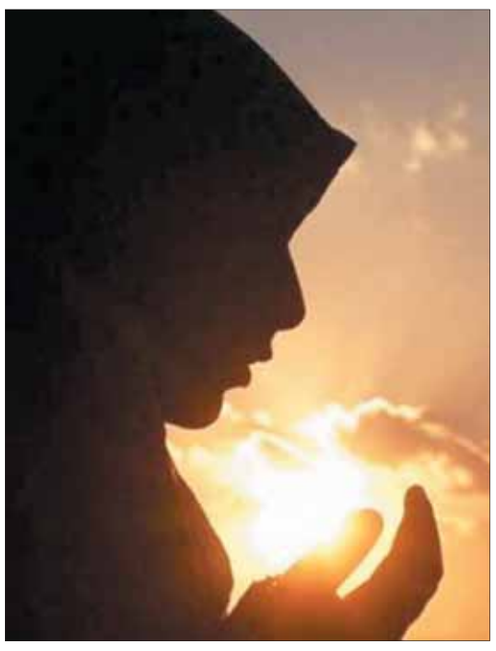

بداية ماذا استفدنا من مدرسة الصيام؟ وما الدروس التي يمكننا أن نخرج بها من تلك الأيام الفاضلة التي قضيناها في العبادة وتلذذنا فيها بالطاعة؟

الدروس كثيرة، لكننا سنذكر جزءاً منها؛ لكي يكون رمضان لنا محطة تغيير نحو الأفضل في حياتنا، ولكي نستفيد من هذا الشهر الكريم فيلقي بظلاله على كافة شهور العام، فنكون بذلك حققنا ما يصبو إليه الصيام من فوائد ومنافع.

أما أول الفوائد من دروس رمضان والصيام فهو درس التقوى، والتقوى وصية الله للأولين والآخرين من عباده، فقال عز وجل: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) ومعنى التقوى، تقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وقاية تقيه من ذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه، إنه مفهوم عظيم كبير؛ إذ الصائم في رمضان كان مستشعرًا لهذا المعنى أثناء صيامه، فمبدأ التقوى هو السرُّ الحقيقي في الصوم ومن ثم ينبغي لنا بل يجب أن نستشعر مفهوم التقوى في جميع مناحي الحياة، في رمضان وبعد رمضان؛ إذ التقوى ليست محصورة في أيام أو في عبادات أو معاملات معينة، بل التقوى شاملة لحياة المسلم كلها، إن معنى التقوى أي اتق عذابه بطاعته، اتق سخطه برضوانه، اتق الكفر بالإيمان، اتق الشرك بالتوحيد، اتق إتلاف المال بحسن كسبه، اتق سَخَطَ الله عز وجل بحسن إنفاقَ المال، اتق الله في حواسك بأن تجعلها في طاعة الله، اتق الله في عينيك بأن تَغُضها عن محارم الله، اتق الله في أذنيك بأن لا تسمع بها إلا الحق، اتق الله في لسانك بأن لا تقول إلا الصدق والحق، وأن تنزهه عن ما حرّم الله من الغيبة والنميمة والكذب وغيرها..

التقوى تكون مع نفسك بأن تلزمها الحق وتكفها عن الباطل، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ من رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ). التقوى مع أولادك بأن تجنبهم مواطن الردى (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)، التقوى مع غيرك أن تعاملهم بما يرضي الله..

المسلم الذي يتقي ربه، تكون تقوى الله ومراقبته، حاضرة معه في كل مكان، في بيته، وفي عمله، مع نفسه، ومع زوجته، ومع أولاده، ومع زملائه، حينما يكون مع الناس، وعندما يخلو بنفسه لا يراه إلا رب الناس.

هذا أول الدروس المستفادة من رمضان، أما ثاني الدروس، وهو درس من الأهمية بمكان، وهو درس الإرادة؛ فالمسلم في رمضان يخالف عاداته ويتحرر من أسرها، ويترك مألوفاته التي هي مما أحل الله لعباده، فتراه ممتنعًا عن الطعام والشراب والشهوة في نهار رمضان امتثالاً لأوامر الله عزوجل، وهكذا يصبح الصوم عند المسلم مجالاً رحبًا لتقوية الإرادة الجازمة؛ فيستعلي على ضرورات الجسد، ويتحمل ضغطها وثقلها إيثارًا لما عند الله -تعالى- من الأجر والثواب.

إن هذا الدرس العظيم يقودنا إلى أن نعرف حقيقة في النفس البشرية أنها قادرة -بعد توفيق الله سبحانه- بإرادتها وعزيمتها على الابتعاد عن الحرام، وعليه فمدرسة رمضان كانت درسًا مجانيًا لإخواننا المدخنين بأنهم بإمكانهم ترك هذه الآفة الضارة، متى ما قرروا ذلك، وسألوا قبل ذلك وبعده العون من الله سبحانه.

ثم إن من أعظم الدروس المستفادة من هذا الشهر العظيم درس المداومة على الطاعة؛ فشهر رمضان الكريم موسم تنوع الطاعات والقربات، إذ المسلم في هذه الأيام الفاضلة يتقلب في أنواع من الطاعات والعبادات، وهو مع ذلك كله حريص عليها، فإذا كان رب رمضان هو رب جميع الشهور كما نعلم، فحريٌّ بالمسلم أن يخرج من مدرسة رمضان بإقبال على الصلاة والخشوع فيها وصلاتها مع جماعة المسلمين، حريٌّ بالمسلم أن يجعل من القرآن الكريم منهج حياة له بتلاوته وتدبره، ما أجمل أن يداوم المسلم على قراءة القرآن بعد رمضان! وأن يجعل له وردًا يوميًا يقرؤه، فيعيش مع القرآن، ويكون له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.

لقد صلينا في رمضان صلاة التراويح والتهجد، ووجدنا فيها لذة المناجاة وعظم سماع القرآن، فلنجعل من هذه الدروس مثالاً لنا بأن نجعل من ساعات الليل نصيبًا من صلاتنا وتقربنا إلى الله، ولا يغلبن أحدنا عن صلاة الوتر كل ليلة؛ ففيها الأجر العظيم من الله.

إن من أجل حكم الصيام غرس القيم والفضائل والخلق الحسن في نفوس الصائمين، والصوم ليس حرمانًا مؤقتًا من الطعام والشراب، بل هو خطوة لحرمان النفس من الشهوات المحظورة والنزوات المنكرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري.

لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً واضحًا لحسن الأخلاق في شهر رمضان، حين قال صلى الله عليه وسلم: "...فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني امرؤ صائم". فيرسم النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر هذا المثال أوضح المعاني على تأثر الصائم الكريم بالأخلاق الفاضلة.

إن الأخلاق الفاضلة التي يدعو لها الإسلام تكفل للمتصف بها أعلى المنازل في الجنة، وأفضل المنازل في قلوب الناس.

إن لكل شيء علامة، وقد ذكر العلماء أن من علامة قبول الحسنة أن يتبعها العبد بحسنة أخرى. فما هو حالنا بعد رمضان؟

أقول لمن يقصر بعد رمضان الله عز وجل قال- لنبيه - صلى الله عليه وسلم -:"واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وقال - سبحانه - قبل عن عيسى - عليه السلام -: "وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً "لقد انقضى شهر رمضان بأيامه ولياليه ودقائقه وثوانيه، ولئن كان ذلك الشهر موسماً عظيماً من مواسم الخير والطاعة فإن الزمان كله فرصة للخير والتزود للدار الآخرة، وليست العبادة خاصة بشهر رمضان بل الحياة كلها عبادة قال الله- تعالى-: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أقول لمن يقصر بعد رمضان هل تخرجت في مدرسة التقوى في رمضان فأصبحت من المتقين؟ هل خرجت من رمضان وعندك عزم الاستمرار على التوبة والاستقامة؟ هل أنت أحسن حالاً بعد رمضان منك قبل رمضان؟

إن كنت كذلك فاحمد الله، وإن كنت غير ذلك فابك على نفسك، فربما أن أعمالك لَم تقبل منك، وربما أنك من المحرومين وأنت لا تشعر

لقد كان سلف هذه الأمة يعيشون بين الخوف والرجاء، كانوا يجتهدون في العمل فإذا ما انقضى وقع الهمُ على أحدهم أقبل الله منه ذلك أم رده عليه؟هذا حال التابعين فما حالنا اليوم وما الواجب علينا؟

والله إن حالنا لعجيب غريب؛ فوالله لا صلاتنا كصلاتهم، ولا صومنا كصومهم، ولا صدقتنا كصدقتهم، ولا ذكرنا كذكرهم!!القد كانوا يجتهدون في العمل غاية الاجتهاد، ويتقنونه ويحسنونه، ثم إذا انقضى خاف أحدهم أن يرد الله عليه عمله.وأحدنا يعمل العمل القليل ولا يتقنه ولا يحسنه، ثم ينصرف وحاله كأنه قد ضمن القبول والجنة.فيا أخي، عليك أن تعيش بين الخوف والرجاء، إذا تذكرت تقصيرك في صيامك وقيامهم، خفت أن يرد الله عليك ذلك، وإذا نظرت إلى سعة رحمة الله، وأن الله يقبل القليل ويعطي عليه الكثير، رجوت أن يتقبلك الله في المقبولين

كلمة أخيرة؟

أدعو الله أن يحفظ اليمن وشعب اليمن من كل مكروه.

اختتام الدورةُ الصيفية العشرين بدار المصطفى بتريم

العلامة بن حفيظ: إحياء التراحم والسلام هو الحل لمشاكل الأمة

دعا فضيلة العلامة عمر بن حفيظ عميد دار المصطفى بتريم إلى الاقتداء بسنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في إشاعة قيم التراحم والمحبة والسلام في المجتمع وإحياء هديه القويم لتعزيز هذه القيم كسبيل لنجاح الأمة والنهوض بها في مواجهة تحديات الواقع والعصر..

وحذر فضيلته من خطورة الفتاوى الحرام التي يطلقها بعض المارقين عن الدين لتستحل بها الدماء والأموال..

جاء ذلك في كلمته خلال حفل اختتام الدورة الصيفية العشرين بدار المصطفى بتريم ودار الزهراء والذي أقيم بحضور كوكبة من علماء وادي حضرموت وطلاب العلم المشاركين في الدورة والبالغ عددهم 825 مشاركا يمثلون 32 دولة عربية و إسلامية وأوروبية.

■ تريم / أحمد بزعل- مراد صبيح

وأكد العلامة بن حفيظ في كلمته أن حل مشاكل هذه الأمة إنما يكون بالعودة إلى قيم الدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحاء التي عظمت حرمة الدماء والأموال وأعلت من قيمة النفس البشرية أكثر من الشرائع والأديان الأخرى.

واختتم كلمته بالتوجه إلى الله عز وجل بالفرج العاجل لأهل الشام والعراق واليمن وغزة وسائر بلدان المسلمين وأن يدفع الشر عن الخلق أجمعين.

من جانبه ألقى رئيس مجلس الإفتاء بتريم ومدير دار المصطفى العلامة علي المشهور بن محمد بن حفيظ كلمة قدم خلالها شكره وعظيم تقديره لكافة الطلاب المشاركين وتحملهم عناء السفر في سبيل تلقي العلم الشريف، خصوصا وأن الدورة أتت في وقت كان غاية في الصعوبة كونها تزامنت مع شهر رمضان المبارك مما كان بمثابة اختبار قبول لصدق نوايا الطلاب الذين وفدوا إلى مدينة تريم، وفي وقت شدة الصيف ومفارقة الأهل والأوطان، علاوةً على ما تتناقله وسائل الإعلام العربية والعالمية من أخبار مشوشة مما يدل على عظيم همة هؤلاء الشباب الذين قدموا إلى تريم وتحدّيهم لتلك الصعاب بمجموعها، ودعاهم إلى تجسيد الأخلاق النبوية في أنفسهم وتبليغها لغيرهم، وقدّمَ شكره وتقديره لكل الحضور ومَن ساهم في إنجاح هذه الدورة، ودعا المولى عز وجل أن يرفع ما نزل بالأمة من البلاء والفتن.

من جانبة أشاد مدير رباط تريم العلامة الفقيه سالم بن عبدالله الشاطري في كلمته بمكانة دار المصطفى وأنه صرحٌ علمي جاء بعد تضحيات من الشهيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ وما هذا المشهد إلا ثمرةٌ لنيته الصالحة التي حقق الله وجودها في أيامنا هذه. وحث الطلاب المشاركين على مواصلة التلقي والأخذ من العلماء، وما هذه الأربعين يوما إلا محطة للتزوّد وشحذ الهمّة والارتباط بالشيوخ، فمواصلةُ الأخذ والتلقي أمانة علمية بها يتنوّر طالب العلم والمتبع لهدي النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وذكر الحضور بأهمية تجديد

825 طالب علم حضروا الدورة يمثلون 32 دولة عربية وإسلامية وأوروبية

التحذير من خطورة الفتوى التي تستحل الأموال والدماء